مركز رواق بغداد للسياسات العامة

النجف والفاتيكان

تراثٌ قديم وروح جديدة

على هامش الزيارة التأريخية للحبر الأعظم
البابا فرنسيس إلى العراق في آذار - 2021

مجموعة من المؤلفين
إعداد وتقديم: عدنان عبد الحسين

REWAQ BAGHDAD
center for publicy policy
dar@rewaqbaghdad.org
www.rewaqbaghdad.org
07835774081
بغداد / العرضات

٢٠١,٤
ك ٥٢٤ كسار ، جواد علي
النجف والفاتيكان تراث قديم وروح جديدة / جواد علي
كسار-- (٤) آخرون . – ط ٢.- بغداد : دار الرواق ، ٢٠٢٤
(٣٢٤) ص ؛ (١٤ , ٥ * ٢١) سم .
١-الديانات المقارنة (حوار الاديان) – أ- زاهد ، عبد الامير (م.م) – ب – منعم ، سهى (م.م)
-ج- أشرشور ، موسى (م.م)
د- ساشادينا ، عبد العزيز (م. م) – ه – العنوان
رقم الايداع
٣٣٢٩ / ٢٠٢٤

دار ومكتبة الرواق

مركز رواق بغداد للسياسة العامة

عنوان الكتاب: النجف والفاتيكان
تراث قديم وروح جديدة

إعداد وتقديم:

عدنان عبد الحسين

الطبعة الثانية: ٢٠٢٤

ISBN: 978-9922-854-51-9
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق (3329) لسنة 2024

جميع الحقوق محفوظة لدار ومكتبة الرواق
يمنع نسخ أو أستعمال الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو أية وسيلة نشر أخرى من دون إذن خطي من الناشر

Legal Note:
Publishing this material has been funded by Rewaq Baghdad Center of Public Policy; however the views expressed in this document do not reect the Center's offcial policies nor its opinions.

العراق بلد الحضارات

عدنان عبد الحسين

في الوقــت الذي كنت اتحدث فيه مع الزمــلاء عن النية في كتابة كتاب عن زيــارة بابا الفاتيكان للعــراق، تطرقنا الى المواضيع التي ســيتناولها الكتاب ومن هم الكُتَّاب الذين ســيعهد اليهم بكتابة مواضيعه، ورغم الصعوبــات التي اعترضت إتمــام الكتاب الا ان الأســاتذة الافاضل قد انجــزوا ما طُلِــب منهم بكل حرفيــة وموضوعية، بعدهــا كنت متحيرا بماذا اقدم هذا الكتاب فلم اشــعر الا انــي ابتدأت بالكتابة عن العراق وحضارته،

اشــتهر العراق منذ آلاف الســنين بموقعه الجغــرافي المتميز، وبتربته الخصبــة وارضه الغرينية حتى قال فيه هيرودتس في تاريخه الشــهير[1] «وتنمــو عندهم الزروع جدا حتــى لا تضاهيها ارض مخصبة بكل اقطار العــالم فان الحبــوب تعطي مئتي ضعف وعند الاقبــال تعطي اكثر من ثلثمائة ضعف وتعوض عن العنب والزيتون والتين التي لا تصح زراعتها بتلك التربة بعكس الحبوب وورق الشــعير بعض اربع أصابع اما الذرة والسمســم فلا اذكر عظم خصبهــما ونمو جذوعهما لأننــي اعلم يقيناً ان كل مــن لا يعرف تلك الأقطــار لا يصدقني ولذلك ضربت صفحاً عن ذكرهما».

تكــون العراق القديم في الأرض التي تكونت من غرين دجلة والفرات، وقد ســماها اليونانيون «ميســوبوتاميا» وورد ذكرها في التوراة باســم

(1) نقلا عن عبد الرزاق الحسني في كتابه (العراق قديما وحديثا) ص12.

شنعار، ولم يكن للعراق وجود قبل العام 5000 ق.م كما هي اليوم من حيــث الوضع الجغرافي لان مياه الخليج العربي كانت تغمر يومئذ مدن المحمرة والبصرة والقرنة وغيرها، كما ان نهري دجلة والفرات العظيمين كانا يصبان في الخليج مباشرة دون ان يلتقيا.

ويبدو ان أحد الأسباب التي جعلت الكتاب والباحثين والمهتمين بالشأن العراقــي يعتبرون ان العــراق متميز في موقعه، هــو العدد الهائل من الاقوام والاعراق التي حكمت وتصارعت واســتقرت فيه، فأول الشعوب التي ســكنت العراق كانــوا الســومريون (4500 ق.م – 2300 ق.م)، اذ ســكنوا جنوب بلاد الرافدين، وشيدوا مدنهم الكبرى كأور ونيبور ولارسا ولجش وكولاب وكيش وإيسن وإريدو واداب، وحفروا الترع ومهدوا طرق الزراعة. وفي ذات الفترة كان هنالك شــعب آخر يســكن وادي الرافدين هــم الاكديون وهم من القبائل الســامية، اذ اســتقروا في منتصف بلاد الرافدين، حيــث اقاموا المدن الكبيرة أيضا، كبورســيبا ونفر، كما انتقل الى العــراق العيلاميــون (2300 ق.م – 1800 ق.م)، الذيــن كانــوا في البدء يســكنون الاهواز وايلام في إيران، وفي هذه الفترة من الزمن نزح العموريين وهم احدى القبائل الســامية التي كانت تســكن بجوار البحر الأبيض المتوســط منذ القديم، اخذت تهبط الى غرب الفرات وســكنوا البادية، حتى اســتقروا في بابل واســســوا مملكة عظيمة دُعيت بالمملكة البابلية.

وكان حمورابي الملك الســادس للدولة البابلية، أعظم ملك عرفه تاريخ تلك الحقــب، اذ وحد الشرائع ونظمها وهذب القوانين وشرَّعها وشــيد المعابد واســس المدارس وحفر الأنهر وشق الترع وقام بأعمال خلَّدت ذكره في بطون التاريخ.

ثــم وصلت النوبة الى الحثيين الذين نزحوا من بلاد الاناضول الى وادي الفرات واســتولوا على بابل، ومكثوا فيها قرابة المائة عام. وكان من بين الحثيون قوم من الآريين يعرفون باســم الكوشيين هاجروا الى الشمال الشرقي من العراق واسسوا لهم دولة فيما يعرف الان بعرقرقوف ودامت دولتهــم قرابة (577) عاماً. حتى وصل الامر الى الاشــوريين (1300 ق.م – 606 ق.م)، وهم اقوام ســامية وكانوا جزء من الاكديين، نزلوا شــمال بــلاد وادي الرافدين، وبحلــول منتصف القرن الثامن قبــل الميلاد امتد ســلطانهم الى بابل وســورية ومعظم البلاد الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط.

ليصل الامر الى الكلدانيين (606 ق.م – 539 ق.م) وهم احدى القبائل السامية الرحالة زحفت ببطء نحو الخليج العربي وصولا الى سهل بابل، اذ اتخذوا منها عاصمة لهم ومن ثم بســطوا نفوذهم الى شمال العراق. بالإضافة الى الفرس ودولتهم الكيانيين، واليونانيين ودولتهم السلوقية، والفرثيــين الذين بنو مدينة ضخمة على الضفــة اليسرى من دجلة قبالة سلوقية اسموها (طيســفون) المعروفة بالمدائن اليوم.لينتهي الامر الى الدولة الإســلامية التي بســطت نفوذها على العراق وانتزعته من الدولة الساسانية عام 16ه.

من هــذا الخليط المتجانس وغير المتجانس تشــكل الشــعب العراقي في حدود الدولة العراقيــة الحالية، فهو متعدد الأعراق والقوميات كما مر، ومتعدد الأديان، هو بلد الحضارات العريقة، وبلد التعايش الديني والمذهبــي والقومــي رغم كل ما جــرى ويجري فانه يــكاد يكون ضمن الســياق الطبيعي الذي لا تشــذ عنــه دولة ذات اعــراق واجناس واديان ومذاهب متعددة.

مدينة النجف

من هذا الإرث الكبير لهذا البلد العريق، شـخصت مدينة عريقة تمتد الى عمـق التأريخ، تُعرف الان بالنجف، وتاريخيـا توصف بانها الظهر المتصل بالكوفـة والحيرة والمنتهـي الى الأرض المنخفضة، وكانـت هذه المدينة تمثل احد اضلاع المثلث الحضاري الفكري لتلك المنطقة مع مدينة الحيرة في عصر ما قبل الإسلام، وهي كما يُروى مهبط الأنبياء والصالحين، ففيها ثـوى آدم ونوح وهود وصالح عليهم السـلام، ودار هجرة الأنبياء عليهم السـلام، عليها اسـتوت سـفينة نوح، ومنها تفرقت أولاد نـوح، وبها كان منزل إبراهيم الخليل واليها كانت هجرته، وفي أيام التنوخيين واللخميين والمنـاذرة يوم كانـت الحيرة عاصمة ملكهم قد اخـذت بنصيب وافر من الحضارة والعمران، كانـت النجف معمورة وكانت الحضارة قائمة بها على أسس عربية لقربها من الحيرة ومجاورتها لها، فالنجف عربية قبل كل شيء وأهلها في ذلك العهد عند شـيوع النصرانية، نصارى نسـطورية وهم من العرب الاقحاح ولم تزل بعض الاديرة موجودة فيه حتى انتشـار الإسـلام وعلو شـوكته، منها ما هو في النجف ومنها ما هو مشرف عليها كدير مارت مريـم وهو دير قديم مشرف عـلى النجف، ودير الاسـكول وهو بالحيرة مـشرف على النجف، ودير هند قرب من خندق الكوفة، نزل فيه أبو طاهر القرمطي حينما جاء الى الكوفة ونزلت مقدمة جيشه النجف، وهناك اديرة أُخـر بـين النجف والحيرة[1]، ولها عدة أسـماء منها مـا ورد في اخبار أئمة اهل البيت عليهم السـلام، وهـي الطور، والظهر، والجـودي، والربوة، ووادي السـلام، وبانقيا، كما لها أسـماء أخرى وردت بلسان الائمة عليهم السـلام وغيرهم، وهي اكثر اسـتعمالا، كالنجف والغري والمشهد، وهي

(1) جعفر الشيخ آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، دار الأضواء، ط2، ص17.

عند المسـلمين وبالخصوص الشـيعة منهم لها قدسية كبيرة في انفسهم ولمن زارها شرف عظيم، اذ وردت في شرفها وفضلها روايات عن أئمة اهل البيت عليهم السـلام، فيرُوى عن امير المؤمنـين علي بن ابي طالب عليه السـلام انه قال اول بقعة عُبِد الله عليها ظهر الكوفة لَمَّا امر الله الملائكة ان يسـجدوا لآدم فسجدوا على ظهر الكوفة، وورد عن بعض الائمة انه ما مؤمن يموت في شرق الأرض وغربها إلا قيل لروحه إلحقي بوادي السلام، قيل له اين وادي السلام؟ قال هو ظهر الكوفة. وزادت أهمية وشرف مدينة الكوفة في العصر الإسـلامي، عند المسـلمين عامة وعند الشـيعة خاصة كونها أصبحت عاصمة المسلمين في زمن خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسـلم، الامام علي بن ابي طالب، خليفة المسلمين وابن عم الرسول وصهره زوج ابنته، انتقل اليها عندما بايعه المسـلمون بالخلافة عام (36) للهجرة النبوية، لذا هي قبلة المسـلمين ومهوى افئدتهم وهي حوزة علم اتباعه من الشـيعة منذ انتقل اليها والى يومنا هذا، اما مدينة النجف فانها اكتسـبت أهميتها وقدسـيتها نتيجة الاخبار الواردة عن أئمـة اهل البيت، وما عضد مـن ذلك وزاد عليه انها تشرفت بضـم جثمان الامام علي عليه السـلام، عندما استشهد سـنة (40 هـ)، اذ صار الناس يقصدونها للعيش فيها وخصوصا أولئك المسـلمين من اتباع ومحبي الامام علي، حتى وصل الامر الى الشـيخ الطوسي[1]، والذي على يده تم تأسـيس الحوزة العلمية في هـذه المدينة كما ينقل المؤرخون، اذ انتقل اليها عام (448 هـ)، وهي جامعة النجف العظمى التي شـيد الشـيخ ركنها الاسـاسي ووضع حجرها الأول، اذ خَرّجـت خـلال هذه الفـترة الزمنية الآلاف من أسـاطين الدين وأعاظم الفقهاء، وكبار الفلاسـفة ونوابغ المتكلمـين، وأفاضل المفسرين واجلاء اللغويين، وغيرهم ممن خبروا العلوم الاسـلامية بأنواعها وبرعوا

(1) الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن الطوسي (385 – 460) هجري قمري.

فيها أيما براعة، وليس أدل على ذلك من آثارهم المهمة التي هي في طليعة التراث الاسلامي ولم تزل زاهية حتى هذا اليوم، يرتحل اليها رواد العلوم والمعارف من سائر الاقطار والقارات فيرتوون من مناهلها العذبة وعيونها الصافية، وهذه الجامعة هي رائدة الإصلاح، منها ظهرت مبادرات الإصلاح وعلى يد علماءها الاجلاء، كالشـيخ المرزا النائيني مؤلف كتاب (تنبيه الأمة وتنزيـه الملة)، الـذي كتبه اثناء الجدل المحتدم مـا بين دعاة المشروطة ودعاة المسـتبدة، والشيخ كاشـف الغطاء ونقده للأصول التي استند اليها محمـد عبد الوهـاب وتفنيد آرائه التي أراد تطبيقها بقوة السـلاح، وتكلم عنها المؤرخ الشـاعر الدكتور محمد مهدي البصير في كتابه (تاريخ القضية العراقية)، ومبادرات الشيخ العلامة المظفر ودعوته لتأسيس منتدى النشر والـشروع ببناء كلية الفقه، والسـيد محمـد تقي الحكيـم وكتابه المهم (الأصول العامة للفقه المقارن)، والسـيد محمد باقـر الصدر في نتاجاته الفكرية المتميزة، والعديد غيرهم من رواد الإصلاح والدعوة اليه، واننا اذ نكتفي بهذه الأمثلة رعاية للاختصار ولئلا يطول المقام في ذكر أسـمائهم ومشـاريعهم، وهذا مما يدلل وبشكل قاطع على عراقة واثر هذه الحوزة في صناعة الفكر والمفكرين والمصلحين على مر تأريخها.

تميزت الطائفة الاماميـة الاثنا عشرية بفتح باب الاجتهاد على مر العصور وتعاقـب الدهور وعلى ذلك جـرى علماؤها، وهم لا يريـدون بالاجتهاد التوسـع على حسـاب الحكم الشرعي بما يلائم مستجدات العصر وتطور الزمـن او إرضـاء لعامة الناس او للحكام والمتسـلطين وغيرهم من اهل النفـوذ، بل الاجتهاد عندهم هو بذل الجهـد لمعرفة الحكم الشرعي من منابعـه الاصيلة. كما تميـزت الطائفة بالتقليد، الذي هـو عبارة عن رجوع عامـة الناس الذين لا معرفة لهم بالأحكام الشرعية في اعمالهم للمجتهد المأمـون على الحكـم الشرعي الـذي لا يفرط في البحـث والفحص، لذا

تراهم يكنون لعلمائهم عامة ولمن يقلدونه خاصة من الاحترام والتقديس والتعظيم والتبجيل الشي الكثير[1].

بــدأ الكيان المرجعي للإمامية في بغداد، وكان المرجع الأول هو الشــيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان (336 – 413 هـ)، وخلفه على المرجعية السيد المرتضى (ت 436 هـ)، ثم خلفه الشيخ الطوسي، الذي انتقل بسبب فتنة الســلاجقة الى النجف كما اشرنا سابقا، اذ بدأ حياة جديدة في الدرس والتدريس حتى أصبحت النجف حاضرة المرجعية العليا حتى اليوم، انجبت جامعة النجف الدينية (الحوزة العلمية) عدد كبير من العلماء والمتعلمين، وتناوب على قيادة حوزتها، علماء كبار على مر الزمن منذ تأسيســها ولغاية يومنا هذا[2]، اذ هنالك نظام دقيق يتم عن طريقه تسلم قيادة الشيعة دينيا وروحيا، فضلا عن ادارة الحــوزة العلمية، اذ جرى العرف على اعتماد آراء العلماء الكبار المشــتغلين في الدرس والتدريس في اختيار مرجع الطائفة عندما يُتوفى المرجع الأعلى، اذ يشــهدون لــه بالاجتهاد والاعلمية وبالورع والتقوى والاستقامة على جادة الشريعة المقدسة، وهذا النظام مطبق عند الشــيعة منذ اكثر من الف ســنة، وهكذا الى ان انتهت الزعامة الدينية الى المرجع الأعلى للطائفة الســيد علي الحسيني السيستاني، ولد سماحته في التاسع من شــهر ربيع الأول عام 1349 للهجرة، في مدينة مشهد الايرانية في أسرة علمية معروفة، وقد نشــأ سماحته نشأة عالية فتدرج في الأوليات والمقدمات، حيث بدأ وهو في الخامسة من عمره بتعلم القرآن الكريم ثم دخل مدرســة دار التعليم الديني لتعلم القراء والكتابة ونحوهما، فتخرج من هذه المدرسة وقد تعلم أثناء ذلك فن الخط، ثم درس العلوم الدينية بالطريقــة المعروفة في الحوزات العلميــة الدينية في المدن الدينية فيما

(1) السيد محمد سعيد الحكيم، المرجعية الدينية وقضايا أخرى، ص 11.

(2) د. محمد حسين علي الصغير، المرجعية الدينية العليا في النجف الاشرف مسيرة الف عام، ص 10.

يُعــرف بالمقدمات والســطوح والبحث الخارج، انتقــل بعدها وفي أواخر 1368 ه انتقل الى مدينة قم في ايران لإكمال دراســته الدينية، وفي أوائل عام 1371 هـ غادر ســماحته مدينة قم متجهــاً إلى موئل العلم والفضل للحوزات العلمية النجف الأشرف، فوصل كربلاء المقدسة في ذكرى أربعين الامام الحسين عليه السلام ثمّ توجّه إلى النجف الأشرف، وحضر البحوث الفقهية والاصولية للعلمين الكبيرين الســيد ابو القاسم الموسوي الخوئي مرجع الطائفة الشــيعية (1899 – 1992) والشــيخ حسين الحلّي ولازمهما مــدّة طويلة، وحضر خلال ذلك ايضاً بحوث بعض الأعلام الآخرين منهم الســيد الحكيم (1889 – 1970) مرجع الطائفة الشيعية في وقته، والسيد الشــاهرودي، ومنح شــهادة الاجتهاد المطلق وهــو في الحادية والثلاثين من عمره من قبل اســتاذيه الســيد الخوئي والشيخ الحلي ولم يمنح السيد الخوئي شــهادة الاجتهاد إلاّ لنادرٍ من تلامذته، كما لم يمنح الشــيخ الحلي اجازة الاجتهــاد المطلق لغيره، يمتلك ســماحة المرجع الأعلى شــخصية فذّة تتمتع بالخصائص الروحية والمثالية، كالإنصاف واحترام الرأي الآخر والادب في الحــوار، وهو الأب والأســتاذ المربي بأخلاقه وســلوكه، عاصر المرجع الأعلى النظام البعثي الذي كان يســعى بكل وســيلة للقضاء على الحوزة العلمية في النجف الأشرف منذ الســنين الأولى من تسلمه السلطة في العراق، وقد قام بعمليات تســفير واســعة للعلماء والفضلاء وســائر الطلاب غير العراقيين، ولاقى عناءاً بالغاً من جرّاء ذلك وكاد ان يُسفّر عدّة مرّات، وقد تمرّ تسفير مجاميع من تلامذته، ثمّ كانت الظروف القاسية جدّاً أيّــام الحرب العراقية الإيرانية، ولكن عــلى الرغم من ذلك فقد أصرّ على البقــاء في النجف الأشرف وواصل التدريــس في حوزته العلمية إيماناً منه بلزوم اســتمرار المسار الحوزوي المستقل عن الحكومات تفادياً للسلبيات التي تنجم عن تغيير هذا المسار.

وفي عــام 1991 عندما قــضى النظام البعثي على الانتفاضة الشــعبانية اعتقل الســيد المرجع ومعه مجموعة من العلماء كالشهيد الشيخ مرتضى البروجردي والشهيد الميرزا علي الغروي وقد تعرّضوا للضرب والاستجواب القاسي في فندق السلام وفي معسكر الرزازة وفي معتقل الرضوانية.

وفي عــام 1992 تــوفيّ مرجع الطائفة الشــيعية الســيد الخوئي تصدّى الســيد المرجع للمرجعية ـ ولم يتوقف النظــام البعثي عن التضييق على المرجع وتشــويه ســمعته، ولكن محاولاته هذه باءت بالفشــل لذا خطّط لاغتياله وتصفيته، وقد كشــفت وثائق جهــاز المخابرات عن عدد من هذه المخطّطات ولكن مكروا ومكر الله والله خير الماكرين، كما روى لي حفيده وبعض العاملين في مكتبه عن بعض هذه المحاولات.

وهكــذا بقي الســيد المرجع رهــين داره منذ أواخر 1998 وحتى ســقوط النظام البعثي في 2003.

وإزاء هذا العمق وإنشــداداً لهذه الــروح العظيمة لمدينة النجف الاشرف ولساكنها الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، كانت ملتقى اتباع الطائفة الشــيعية ومهوى افئدتهم ومهبط ترحالهم ومأواهم النهائي، كنا نســمع ونقرأ عن سادة وزعماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وكنا نتردد على مكاتــب العلماء ومراجــع الطائفة بين الفينة والأخرى إبّــان حكم النظام السابق، وبعد 2003 عاصرنا التغيير الذي حصل في العراق وما عصف به من احداث، وكنا مراقبين للدور الكبير الذي يلعبه ســيد النجف، من حيث طريقــة التعامل مــع الولايات المتحدة الامريكيــة، او محافظته على دماء النــاس وضرورة ان يأخذ القضاء مجراه وان لا يــترك الامر للناس لتصفية حســاباتهم فيما بينهم بعيدا عن ســلطة القضــاء، وكان يفاجئنا كثيرا بما يصدره من توجيهات لم يكن احد يتوقعها رغم ما ألمّ باتباعه ومحبيه من

اذى سببه النظام السابق وازلامه، فلم يجيز الاقتصاص بلا محاكمة عادلة، ومنـع طلبة العلوم الدينية من الانخراط في العمل السـياسي والتنفيذي، ولم يعـترف بقانـون إدارة الدولة العراقيـة للمرحلـة الانتقالية كونه لم يكتب بأيدٍ عراقية، واشـترط ان يكتب الدسـتور العراقـي بأيد عراقية ومن قبل هيئة منتخبة من الشـعب العراقي اذ اصدر فتواه الدستورية الشهيرة التي أسسـت لبناء الدولـة العراقية الحديثة وفق نظـام يعتمد التعددية السياسـية والتداول السلمي للسـلطة عبر الرجوع الى صناديق الاقتراع[1]، وحث العراقيين على الاشـتراك في الانتخابات لتقرير مصيرهم بأيديهم، وعلى احترام القانـون والحفاظ على المال العام، وعدم الثأر والانتقام، ورفـض جميع الضغوط التي مورسـت عليه لثنيه عن هـذا الرأي، وعندما حصـل الاقتتال الطائفـي لم يجز ولم يسـمح بان ينجر النـاس للاقتتال الطائفي، وحكـم بعدم جواز مخالفة قوانين الدولـة وضرورة احترامها، وفي ظل هذا الانبهار والترقب لكل ما يصدر عن سـيد النجف، كنا دائمي المراجعة لمكتبه وكنا نشـاهد ونسـمع كيف كان يحـرص على حرمة الدم العراقـي وضرورة ان يعيـش جميـع العراقيـين متحابـين في بلد واحد يحتضـن جميع ابناءه دون تمييز او تهميش، اذ اصدر مكتبه بيان يدين فيه تعرض الكنائس للتفجيرات الإرهابيـة، مؤكداً على وجوب احترام حقوق المواطنـين المسـيحيين وغيرهم مـن الاقليات الدينيـة ومنها حقهم في العيش في وطنهم العراق في أمن وسـلام[2]، وكان كل هم سيد النجف، ان يُحكم العراق من ابناءه وان يعم الامن والأمان ربوع العراق بأكمله في ظل مبادئ الدستور والقوانين النافذة وصولاً الى إرساء دعائم دولة مدنية

(1) للاطلاع كامل البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني.
https://www.sistani.org/arabic/archive/273/

(2) للاطلاع كامل البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني.
https://www.sistani.org/arabic/statement/1480/

قائمة على مؤسسات دستورية تُحترم فيها الحقوق والواجبات وتصان فيها عقائد الناس وحرياتهم ويكفل فيها رفاه وكرامة المواطنين، وظل مستمرا على دوره في حماية الدين والدولة، حماية الدين من ان يتدخل فيما لا يعنيه، ونصح القائمين على شؤون الدولة من ان تنحرف عن مسارها الذي يطمح الناس اليه، من تقديم الخدمات وتوفير الامن وتحقيق العدالة الاجتماعية وكفالة عيش الناس بأمن وهدوء وسكينة، كما ان سماحته في رسالته الجوابية للأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي بخصوص دعوته لعقد لقاء لعلماء الدين العراقيين في مكة، اكد انه لا يوجد في العراق صراع طائفي بين ابنائه من الشيعة والسنة، بل توجد أزمة سياسية وهناك من يمارس العنف الطائفي للحصول على مكاسب معينة، ويضاف الى ذلك ممارسات التكفيريين الذين يسعون في تأجيج الصراع بين مختلف الاطراف خدمة لمشروعهم المعروف[1].

وكان دوره الكبير في انقاذ العراق من الهجمة الشرسة من قبل التنظيمات الإرهابية التي اسقطت مدن الموصل والانبار وأجزاء كبيرة من صلاح الدين وديالى، وبات الارهابيون على مشارف بغداد لولا فتواه العظيمة، فتوى الجهاد الكفائي[2]، التي اعادت للقوات الأمنية وللناس روحهم المعنوية، فهب المواطنون للدفاع عن وطنهم، من خلال الانخراط بالمؤسسات الأمنية، لتحرير الأرض وكسر شوكة الإرهاب الداعشي، اذ حرروا المدن التي احتلها تنظيم داعش الإرهابي، وفي خضم الازمة التي عاشها العراق نتيجة القتل والسبي والتشريد لكل فئات المجتمع العراقي، وجه سيد

(1) للاطلاع على البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني.
https://www.sistani.org/arabic/statement/1503/

(2) لمزيد من الاطلاع زيارة الروابط ادناه. https://www.sistani.org/arabic/archive/24918/
https://www.sistani.org/arabic/archive/25582/

النجف جميع العراقيين ان يمدوا يد العون والمساعدة بكافة صنوفها من مأكل وملبس ودواء وسكن للنازحين وبغض النظر عن دينهم او طائفتهم او قوميتهم.

ان سيد النجف كان مؤثرا وفاعلا بشكل كبير جدا في العراق ما بعد 2003 وعلى مختلف الصُعد، الروحي والإنساني والسياسي، اذ كان له دور محوري وكبير في تأسيس الدولة العراقية بعد 2003 كما ذكرنا، ولولاه لما كان للعراق وجود بعد احداث الهجمة الشرسة للتنظيمات الإرهابية، وبفضله استقر العراق وبات ينعم بالأمان، الى المستوى الذي يسمح لبابا الفاتيكان بزيارة العراق.

بابا الفاتيكان فرانسيس في العراق

الفاتيكان مقر سكن الحبر الكاثوليكي، وهو رأس الكنيسة المنظور، اذ تتألف الكنيسة من أولئك الذين تلقوا المعمودية، وحملوا الايمان بالمسيح واعتنقوا ذات التعاليم وذات القبول بكلمة الرب، واعترفوا بالطقوس القربانية المقدسة السبعة وتقبلوها كنعم الاهية وقبلوا خدمة خلفاء القديس بطرس والرسل، وللكنيسة أربع علامات أساسية: فهي واحدة من خلال الحبر الأعظم، ومقدسة نسبة الى قدسية مؤسسها، وكاثوليكية لأنها وجدت لصالح البشرية جمعاء، ورسولية نسبة لمؤسسها.

تملك الكنيسة السلطات الروحية، وتمنحها الى البابا والأساقفة والقساوسة كسلطة التعليم والحكم وأداء الطقوس القربانية، ليتمكنوا من خدمة إخوتهم واخواتهم، والكنيسة كمؤمنة بتعاليم الانجيل، تسعى لتحقيق رسالة الأخوة والمساواة والعدل والسلام. كما ان التعاليم البابوية التي تكفل الايمان العام، تُبلَّغ في محاضرات وكتب ورسائل.

يتمتع بابا الفاتيكان بسلطة تشريع القوانين الرسولية، وبالسلطة القضائية والتنفيذيــة الإداريــة على الكنيســة. ولخليفة بطرس عــدة القاب، كالحبر الكاثوليــكي الرومــاني، والبابا، والحــبر الأعظم، ونائب المســيح، والأب المقدس، وصاحب القداسة، وخادم خدام الرب[1].

البابــا فرانســيس هــو البابا رقم (266) على ســدة البطرســية للكنيســة الكاثوليكية، اســمه بالميلاد خورخي ماريو بيرغوليو، انتخب بابا للفاتيكان في 2013، وهو ارجنتيني الجنســية، ولد في بوينس آيرس في 17 ديسمبر 1936، لأب مهاجــر إيطالي، كان والده ماريو محاســبًا يعمل في الســكك الحديديــة وكانــت والدتــه ريجينا ســيفوري زوجة ملتزمة مكرســة لتربية أطفالهما الخمســة. تخرج تقنيًا كيميائيًا ثــم اختار طريق الكهنوت، ودخل مدرســة الأبرشــية في فيــلا ديفوتــو. في 11 آذار (مــارس) 1958، التحق بالابتدائيــة في جمعية يســوع، أكمل دراســاته في العلوم الإنســانية في ششــيلي وعاد إلى الأرجنتين في عام 1963 للتخرج بدرجة الفلسفة من Co-legio de San José في ســان ميغيل. من عــام 1964 إلى عام 1965 قام بتدريــس الأدب وعلم النفس في كليــة (Immaculate Conception) في ســانتا في، وفي عام 1966 قام بتدريس نفس الموضوع في Colegio del Salvatore في بوينس آيرس، ومن 1967 إلى 1970 درس اللاهوت وحصل على شهادة من Colegio of San José[2].

هو اول بابا من خارج اوربا منذ عهد البابا غوريغوريوس الثالث، يُعرف عن هذا البابا انه ترك حياة الترف واختار حياة الزهد وبدا بالدعوة الى مساعدة

(1) عربه عن الإنكليزية، محمد جميل القصاص، الفاتيكان وروما المسيحية، ص13-11.

(2) السيرة الذاتية للبابا من موقع الكرسي الرسولي.
https://www.vatican.va/content/francesco/en/biography/documents/papa-francesco-biografia-bergoglio.html

الفقراء ونادى بإعادة بناء الكنيسة، عُرِف بالتواضع والبساطة والبُعد عن التكلف في التقاليد، كما ألغى الكثير من التقاليد البابوية، فرفض الإقامة بالقصر الرسولي، واقام في بيت صغير لاستقبال ضيوف الفاتيكان، واحتفظ بالصليب الحديدي ورفض استبداله بالصليب الذهبي، كما ان خطاب البابا اتسم بعناية عالية تجاه الفقراء والمهمشين والمتعبين، فهو الآتي من إرث لاهوت التحرير في أمريكا اللاتينية، وحامل فلسفة الرهبنة اليسوعية القائمة على التبشير.

وكانت رحلة البابا الى العراق هي الأولى خارج الفاتيكان منذ تفشي وباء كورونا، وهي الزيارة الأولى في التاريخ لحبر أعظم إلى العراق، هنالك من توقّع أن يلغي البابا رحلته، وعدّها آخرون مخاطرة، بسبب تفشّي الوباء، والتفجيرين الانتحارين في ساحة الطيران وسط بغداد في كانون الثاني من ذات العام، وسقوط قتلى خلال الاحتجاجات التي حصلت في محافظة ذي قار قبل الزيارة بأيام، ومما عقد الأمور اكثر الإعلان عن إصابة السفير البابوي في العراق، ميتجا ليسكوفار بفيروس كورونا، سيما وهو من الشخصيات المحورية في التحضير للزيارة على المستويات الدبلوماسية واللوجستية، ورغم كل هذه التحديات فان الزيارة استمرت وتمت في موعدها المحدد من 5 – 8 آذار من العام 2021.

ان بابا الفاتيكان ليس شخصية اعتبارية فقط، بل هو رئيس دولة، ونرى ان اهم ما يميز هذه الزيارة هو لقاءه بالمرجع الأعلى للطائفة الشيعية في العالم، لقاء الزعماء الكبار في الديانتين الإسلامية والمسيحية، ولما لهذا اللقاء من اثار مهمة على العلاقات بين معتنقي هاتين الديانتين المهمتين، انه لقاء المحبة لقاء القيم والتسامح لقاء الروحانيين.

وتأتي أهمية هذه الزيارة في ظل تطور وسائل التواصل التي جعلت من

العالم قرية صغيرة، وفي ظل تشـابك مصالح المجتمع الإنسـاني، الذي أصبـح كأهل مدينة واحدة، اذ يُفترض ان يكون هناك حوار ناجع بين أبناء هذا المجتمـع، من اجل صلاحهم وتحقيق التعايش السـلمي فيما بينهم وتذليل العقبات الناجمة عن اختلافهم دينيا او قوميا او فكريا او غير ذلك، وخصوصا الأديان السـماوية، وبالتحديد الديانة الإسـلامية والمسـيحية، اللذين تربطهما مشتركات عليا مقدسة، بالإضافة الى تبني المُثل والأخلاق، والدعوة الى حفظ إنسـانية الانسـان، وما يزيد مـن أهمية هذا الحوار هو التداخل بين المسلمين والمسيحين في كثير من بقاع الأرض.

وما يؤكد أهمية هذه الزيارة ان البابا صرح في حديثه إلى الصحفيين على طائرة العـودة إلى روما، إن البعض قد يتهمـه "بالهرطقة" لأنّه يلتقي مع زعماء العالم الإسـلامي، كما انه أكد إن لقاءاتـه وزياراته إلى دول العالم والشـخصيات المختلفة لا تأتي من أهواء شـخصية، بل بعد صلاة وتفكير ونقاش.

منهاج زيارة البابا للعراق

اسـتمرت الزيـارة أربعة أيـام، اذ وصـل البابا للعراق في يـوم الجمعة المصـادف 5 /3/ 2021، عـبر مطـار بغداد الـدولي، وكان في اسـتقباله رئيـس مجلس الوزراء السـيد (مصطفى الكاظمي)، وعقد حفل اسـتقبال لنيافته في القصر الجمهوري ببغداد، ثم التقى بالسـيد رئيس الجمهورية (برهـم صالح)، والتقى بالمسـؤولين وممثلي المجتمع المـدني والهيئات الدبلوماسـية في قاعة القصر الجمهـوري، بعدها كانت كلمـة للبابا، ثم انتقل الى كاتدرائية سيدة النجاة للسريان الكاثوليك في بغداد التقى فيها الأساقفة والكهنة والأشخاص المكرسين والخطباء والقى فيهم كلمة.

انتقل البابا يوم السبت المصادف 6 /3/ 2021 بالطائرة الى النجف الاشرف لزيارة المرجع الأعلى سماحة السـيد السيستاني، اذ استمرت الزيارة قرابة الخمسـين دقيقة، أظهرت الصور والكلام الذي صرح به البابا بعد الزيارة تأثره الكبير بشخصية المرجع الأعلى ودوره الكبير في حفظ حياة العراقيين وكرامتهم في هـذا البلد الكبير، ولدى عودته على متن الطائرة الى إيطاليا صرح للصحفيين انه أعتقد أنها كانت رسالة عالمية، اذ شعر بواجب القيام بحـج الإيمان هذا والتوبة، وأن يذهب للقـاء رجل عظيم وحكيم، ورجل اللـه، واكـد انه ومن خلال الاصغاء إلى سـماحة المرجـع فقط يمكنك أن تفهم ذلك، إنّه شـخص يتمتع بالحكمة والحصافة أيضًا. وذكر ان سـماحة المرجع قال له: "منذ عشر سـنوات لم يسـتقبل أشـخاصًا يأتـون لزيارته لأغراض سياسـية وثقافية أخرى، وإنما فقط لأغراض دينية، وقال لقد كان محترمًا جدًا خلال اللقاء، ولقد شعر بالفخر، حتى في لحظة التحية، وكان مـسرورا ان المرجع الذي لا يقف أبدًا قد وقـف مرّتين ليلقي عليه التحيّة، واكد إنّه رجل متواضع وحكيم، وان اللقاء قد أفاده، وقال إنّه نور، وأشـار ان هـؤلاء الحكماء موجودون في كلّ مكان لأنّ حكمة الله قد انتشرت في جميـع أنحاء العـالم، وإنَّ الشيء عينه يحدث مع القدّيسـين وليس فقط أولئك الذين قد تمّ إعلان قداسـتهم، وهذا الأمر يحدث كلّ يوم، وهؤلاء هم الذين أدعوهم القدّيسين الذين يقيمون بقربنا، رجال ونساء يعيشون إيمانهـم، مهـما كان، بصدق. هؤلاء يعيشـون القيم الانسـانية والأخوّة بصدق[1].

كـما أصدر مكتب سـماحة السـيد المرجع بيانـا وضح فيه مـا دار خلال

(1) للاطلاع على كامل اللقاء الصحفي زيارة الموقع من خلال الرابط ادناه:
https://www.vatican.va/content/francesco/ar/speeches/2021/march/documents/papa-francesco_20210308_iraq-volo-ritorno.html

هذه الجلسة وان سماحته (دام ظله) التقى بالحبر الاعظم بابا الكنيسة الكاثوليكية ورئيس دولة الفاتيكان، ودار الحديث خلال اللقاء حول التحديات الكبيرة التي تواجهها الانسانية في هذا العصر ودور الايمان بالله تعالى وبرسالاته والالتزام بالقيم الأخلاقية السامية في التغلب عليها.

وتحدث سماحة السيد عما يعانيه الكثيرون في مختلف البلدان من الظلم والقهر والفقر والاضطهاد الديني والفكري وكبت الحريات الاساسية وغياب العدالة الاجتماعية، وخصوص ما يعاني منه العديد من شعوب منطقتنا من حروب وأعمال عنف وحصار اقتصادي وعمليات تهجير وغيرها، ولا سيما الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة.

كما أشار سماحته الى الدور الذي ينبغي أن تقوم به الزعامات الدينية والروحية الكبيرة في الحد من هذه المآسي، وما هو المؤمل منها من حثّ الأطراف المعنيّة ـ ولا سيما في القوى العظمى ـ على تغليب جانب العقل والحكمة ونبذ لغة الحرب، وعدم التوسع في رعاية مصالحهم الذاتية على حساب حقوق الشعوب في العيش بحرية وكرامة، كما أكّد على أهمية تضافر الجهود لتثبيت قيم التآلف والتعايش السلمي والتضامن الانساني في كل المجتمعات، مبنياً على رعاية الحقوق والاحترام المتبادل بين أتباع مختلف الاديان والاتجاهات الفكرية.ونوّه سماحته بمكانة العراق وتاريخه المجيد وبمحامد شعبه الكريم بمختلف انتماءاته، وأبدى أمله بأن يتجاوز محنته الراهنة في وقت غير بعيد. وأكّد اهتمامه بأن يعيش المواطنون المسيحيون كسائر العراقيين في أمن وسلام وبكامل حقوقهم الدستورية، وأشار الى جانب من الدور الذي قامت به المرجعية الدينية في حمايتهم وسائر الذين نالهم الظلم والأذى في حوادث السنين الماضية، ولا سيما في المدة التي استولى فيها الارهابيون على مساحات شاسعة في عدة

محافظات عراقية، ومارسـوا فيها أعمالاً اجراميـة يندى لها الجبين. وتمنى سماحته للحبر الاعظم وأتباع الكنيسـة الكاثوليكية ولعامة البشرية الخير والسـعادة، وشكره على تجشـمه عناء السـفر الى النجف الأشرف للقيام بهذه الزيارة[1].

بعد انتهاء زيارة البابا لسـماحة السـيد غادر النجـف الاشرف متوجها الى محافظـة الناصريـة ومنهـا الى مدينـة اور التاريخية مسـقط رأس النبي إبراهيـم عليه السـلام، حاجا اليها وفـق التقليد المتبـع، اذ عقد اجتماع حـضره جمع من ممثلي الأديان والطوائف عند الزقورة ثم القى كلمة بهذه المناسـبة، تطرق فيها الى ضرورة التوحد لأننا اخوة ونحن احفاد إبراهيم عليه السـلام ولابد ان نعمل سويا فنحن من يعمر هذه الأرض وان اديانا ستبقى ولابد ان نحب بعضنا البعض، وان نتعايش سويةً، واكد انه من هذا المكان بدأ التوحيد.

وبعد انتهاء الاجتماع في الزقورة رجع البابا الى بغداد لإقامة قداس عصر يوم السـبت في كاتدرائية القديس يوسف (مار يوسف) الكلدانية بحضور جمع من المؤمنين والقيادات الدينية للإخوة المسيحين.

وتوجـه يوم الاثنين المصـادف 7 /3/ 2021 من بغـداد الى أربيل اذ كان في اسـتقباله رئيس الإقليم، السـيد نجيرفان بـارزاني، وممثلي الديانات والمجتمـع المـدني في الإقليـم، بعدها توجـه بالطائـرة المروحية الى الموصل، اذ استقبله أهالي الموصل القديمة ومن جميع المكونات بحفاوة كبيرة، اذ تم إقامة صلاة لضحايا الحرب في حوش البيعة (ساحة الكنيسة) في الموصـل، والقى كلمة دعا فيها المسـيحين الى العـودة الى الموصل ودعا الى العيش بسـلام ووئـام متجاوزين الانتـماءات الدينية، واكد ان

(1) للاطلاع على البيان زيارة الموقع الالكتروني لمكتب سماحة السيد السيستاني:
https://www.sistani.org/arabic/statement/26506/

الاخوة اقوى من الكراهية والعنف. ثم انتقل بالطائرة المروحية الى قرقوش والتقى باهلها في كنيسة الطاهرة الكبرى للسريان الكاثوليك، وأيضا القى كلمة في الكاتدرائية شكر فيها الذي منحه هذه الفرصة ليكون بين اهل قرقوش، مؤكدا شعور بالألم إزاء الدمار الذي حل بالمدينة، بعد ذلك انتقل الى أربيل لإقامة القداس الكبير في ملعب فرانسو حريري بحضور قرابة عشرة الآف شخص، وبعد انتهاء القداس عاد الى بغداد حيث أقيم هنالك حفل توديع لنيافته وغادر الى روما.

حظيت هذه الزيارة باهتمام بالغ، وسلط عليها الضوء بشكل مركز من خلال استقصاء كل مفردات الزيارة بأدق التفاصيل من لحظة انطلاق قداسة البابا الى لحظة رجوعه الى اوربا، فقد تناولتها وسائل الاعلام المرئي والمسموع والمقروء بالتفصيل الدقيق كما أسلفنا.

ولكن في ذات الوقت تباينت وجهات النظر إزاء زيارة البابا، بين مرحب ومؤيد وعادا الزيارة حدثا تاريخيا مهماً، ينبغي الاستفادة منه ودراسته بعناية والتركيز على العبر والعضاة التي يمكن استخلاصها. وبين ساخط وناقم ومنتقد بأشد عبارات الانتقاد والتخوين وخصوصا أولئك المتشددين والمتطرفين من كل الأديان والطوائف، فكل منهم نظر من زاوية مصالحه الأيديولوجية والسياسية، فتكلموا في جدوى الزيارة وأهدافها القريبة والبعيدة وتوقيتها، وصاروا يطعنون ويسيئون الظن بها، ويشككون في النوايا، ويلمزون بالسوء كل من أيد ورحب بالزيارة او كان له حضور او دور في اتمامها ويتهمونه بأبشع التهم واقساها، كالمطبعين والمبشرين بالمشروع الغربي والإسلام الأمريكي والتشيع البارد المحصور بالتفكير بمصالح الأوطان، كما اتهمها بعضهم بانها تمهيد لما يُعرف بالديانة الابراهيمية.

لماذا هذا الكتاب ؟

يـأتي الكتاب، ضمن سلسـلة من الدراسـات والبحوث التـي يوثقها **مركز رواق بغداد - للسياسـات العامة**، من خلال الأحداث التي تشهدها الساحة السياسـية عامّة، والعراقية خاصّةً. ومـن هذه الأحداث المهمة هي الذكرى السنوية الثانية لزيارة الحَبْر الأعظم البابا فرنسيس إلى العراق في الخامس من آذار - 2021 .

ينطوي الكتاب على دراسـات وبحوث كتبها مختصون، ومراقبون مهتمون بهـذه المناسـبة التأريخية. ومنها بحـث الدكتور عبد الأمـير زاهد (قراءة نقديـة تحليليـة في مُخرجات زيارة البابا للعراق) وبحث الأسـتاذة سـهى منعم جيجان الذي تناول (الدبلوماسية الدينية للسيد السيستاني). كما كتب الدكتور عبد العزيز ساشـادينا الأستاذ في جامعة جورج ماسون، في مدينة فيرفاكـس، ولاية فيرجينيـا، الولايات المتحدة الأمريكيّـة، بحثًا عن (تعزيز التعددية الدينية بين المسلمين).

ضم الكتاب لقاءًا مع السـيد جواد الخوئي الأمين العام لمؤسسـة السيد الخوئي، للحديث عن دوره في إتمام تلـك الزيارة. أمّا الصحفي الجزائريّ، المقيم في فرنسـا، موسى أشرشور، فقد أعدَّ تقريرًا تحدث فيه عمّا أضافته زيارة البابا وماكرون لِلعراق، إلى مسار السَّلام وحوار الأديان.

وخُتِم الكتاب ببحث للأسـتاذ جواد علي كسار، وقد سلَّط الضوء على أهم ماقيل، وكُتب في الإعلام الإيراني عن الزيارة، عنونه بـ (لقاء النجف الأشرف وتجلّيـات المحنة في العقـل الإيراني). ويُعـدّ هذا البحث مـن القراءات الاستقصائيّة التي تكشـف عن موقف بعض الفاعليات السياسية والاعلامية الايرانية